قضية

شهر إسماعيل كاداريه المثقف والسلطة وعقدة نوبل في ألبانيا

كاتب النظام الشمولي المدلّل

تعيش الصحافة الألبانية، هذه الأيّام، ما يمكن تسميته بـ«شهر كاداريه»، وذلك تزامناً مع الذكرى الخامسة والثمانين لميلاد الكاتب، فرصةً للعودة إلى بعض الجوانب الإشكالية من سيرة رجلٍ عُرف بقربه من رأس النظام الشمولي السابق، أنور خوجا

محمد م. الارناؤوط

يشكّل بلوغ إسماعيل كاداريه الخامسة والثمانين من العمر (من مواليد 1936) مناسبةً انتجت ما يمكن تسميته بـ«شهر كاداريه» في الصحافة الألبانية، التي تنشر منذ أيّام مقالات ونصوصاً من وجهات نظر مختلفة حول الكاتب، رغبةً، ربّما، في التعويض عن عدم فوزه بـ«جائزة نوبل في الأدب» لعام 2020، وهو من المرشّحين الدائمين لها منذ أربعين سنة. ومع أنّه غدا من المعروف أنّ السبب في عدم نيل كاداريه الجائزة يعود إلى العلاقة الوثيقة التي كانت تجمعه برأس النظام أنور خوجا (حكم البلاد من 1944 حتى وفاقته عام 1985)، إلّا أنّ «الأكاديمية الألبانية للعلوم» افتتحت «شهر كاداريه» بالتأكيد على إعادة ترشيحه لـ«نوبل في الأدب» لعام 2021، في رسالة وجّهتها إلى الأكاديمية السويدية.

ومع هذه الرسالة التي تكرّرها الأكاديمية الألبانية، حفلَ «شهر كاداريه» بعشرات المقالات والشهادات من كتّاب مجايلين لكاداريه، يمثّلون «ضحايا» اهتمام أو «تدليل» النظام الشمولي له ـ والذي تقلّد فيه منصباً رفيعاً (نائب رئيس «الجبهة الديمقراطية» ـ الواجهة الشكلية لحكم «الحزب الشيوعي») ـ ومن كتّاب آخرين معروفين في أوروبا اليوم، بمثلون الجيل اللاحق لجيل كاداريه، والذين، للأسف، لم يُترجموا إلى العربية. كما انضمّت إلى هذه المنشورات اعترافاتٌ جديدة لكاداريه نفسه، وردت في كتاب نشرته الكاتبة الدا بارذيلي في عيد ميلاده الخامس والثمانين (28 كانون الثاني/ يناير) بعنوان «كاداريه: زمن الاعتراف»، وهو حصيلة حوارات مطوّلة معه بدأها عام 2017.

من بين ما كُتب خلال «شهر كاداريه»، ثمّة أمورٌ عدّة تستحق التوقّف عندها لأنّها توضح بعض الجوانب الإشكالية في حياة وأدب الكاتب المتنوّع بين ما وضعه خلال فترة حكم النظام الشمولي (حتى 1990)، وما ألّفه بعد ذلك، بين ألبانيا وفرنسا، اللتين يوزّع بينهما شهور السنة بالتساوي.

من «نوبل» إلى حكاية «الكاتب المنشق»

جرت العادة أن يخرج كاداريه، كلّ عدّة سنوات، بتفسير جديد عن عدم فوزه بـ«نوبل»، وقد صرّح، هذه المرة، بأنّ السبب في ذلك يعود إلى أنّ السفير الألباني الجديد في السويد وجّه رسالة إلى الأكاديمية السويدية يبيّن فيها علاقة الكاتب بالنظام الشمولي السابق، الذي أنفق الكثير على ترجمة رواياته إلى اللغات المختلفة، حتى شاع عنه لقبُ «كاتب البلاط» عند بعض ضحايا النظام الشمولي من الكتّاب الذي قضوا حياتهم في السجن أو واجهوا الموت البطيء. ولكنّ السفير الألباني المقصود ردّ بشكل علنيّ على كاداريه مطالباً إيّاه بإثبات ذلك، في وقت أصبح الوصول فيه إلى الوثائق متاحاً في ألبانيا الديمقراطية، لا سيّما أنه من المفترض بالأكاديمية السويدية أن تحتفظ بمثل هذه الرسالة المزعومة، إن وُجدت. من المعروف أنّ كاداريه غادر ألبانيا إلى باريس في الأيام الأخيرة من عمر النظام الشمولي، الذي تصدّع نتيجة لربيع أوروبا الشرقية. ومع أنّه قبل آنذاك إنه «انشقّ»، وأنّه بات يُعرف كـ«كاتب منشقّ»، بفضل تعويمه في الغرب، إلّا أنّ ما كُتب عنه لاحقاً حوّل هذا اللقب إلى منبع لإشكاليّات ليست لصالحه، ما دفع إلى التوقّف عن إطلاقه. وقد مثّل «شهر كاداريه» فرصة لإعادة طرح الأمر بصورة جديدة، حيث طُرحت أسئلة لم تكن تطرح في السابق: بماذا كانت تختلف ألبانيا عن تشيكوسلوفاكيا والاتّحاد السابق آنذاك، ولماذا لم يكن في ألبانيا كتّاب مثل هافل وسولجنستن؟ بكلّ بساطة، كانت ألبانيا، حتى 1990، آخر «قلعة للستالينية» في أوروبا، ولذلك كانت تمثّل «الغولاغ» الحقيقي والأخير في القارّة، بما لا يدع مجالاً لإطلاق صفة الـ«انشقاق» على ما حصل مع كاداريه، مقارنةً بما جرى للعشرات من الكتّاب بين موت سريع (الإعدام) أو بطيء في السجون. وقد حسمت هذا الأمر الكاتبة الدا بارذيلي، التي نشرت مقاطع من كتابها المذكور في صحف ألبانية معروفة، وكُتبت عنه عروضٌ مختلفة. وفي لقاء معها نشرته جريدة «بانوراما»، الأكثر انتشاراً في البلد، منتصف هذا الشهر، اعترفت المؤلّفة صراحةً بأنّه لا مجال للمقارنة بين أوروبا الشرقية وألبانيا فيما يتعلّق بهامش الحرية للكتّاب، ولذلك، فهي ترى أن «كاداريه ليس كاتباً منشقّاً»، لأنّه كان يعيش «في ألبانيا، حيث ينتهي الأمر بالكاتب «المنشقّ» إلى السجن أو الموت. ولذلك لا مجال لظاهرة كهذه».

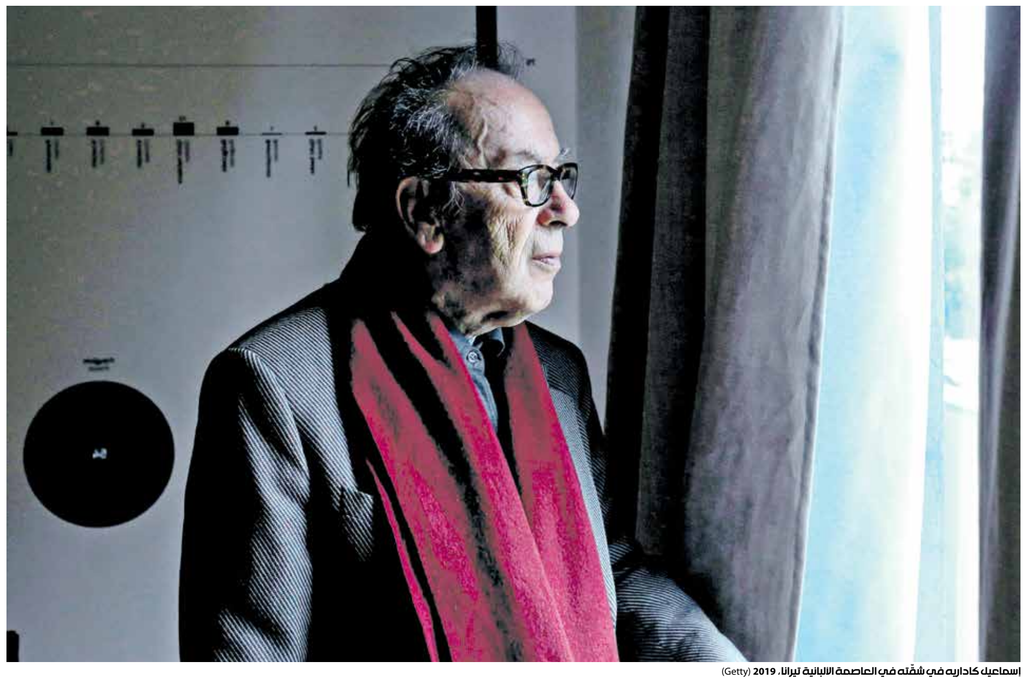

إسماعيل كاداريه في شقّته في العاصمة الألبانية تيرانا، 2019 (Getty)

ضوءٌ في نهاية النفق

من الشهادات التي قدّمها كتّاب ألبان حول كاداريه، نصٌّ مهمّ للروائي والسياسي بسنيك مصطفى (الصورة)، الذي تصدر روايته «ملحمة صغيرة» بالعربية قريباً. يعترف مصطفى، الذي كان من الجيل الجديد الملول من الواقعية الاشتراكية، بأن هامش الحرية المُعطى لكاداريه بفضل علاقته برأس النظام كان يمثّل «ضوءاً في نهاية النفق» للكتّاب الشباب، كي يُبدعوا ويصلّوا ألبانيا الجديدة، التي وُلدت بإزالة تماثيل ستالين وخوجا عام 1990.

كاداريه نموذجاً لـ«الكاتب المدلّل»

من المقالات اللافتة حول كتاب بارذيلي، ما نشره الكاتب لوثر كومه في جريدة «بانوراما» أيضاً، في السابع عشر من الشهر الجاري. ينطلق الكاتب في مقالته من أنّ نجْم كاداريه صعد في وقت عُرف الأدبُ فيه اهتماماً كبيراً، ولذلك كانت روايات كاداريه تُطبع بعشرات الآلوف من النسخ وتنفَد بسرعة، على عكس ما يحصل اليوم. وكان ذلك يُفسّر بالميات النظام الشمولي الذي يمكن له أن يرفع كاتباً إلى القمّة أو النجومية أو أن يهوي به إلى الحضيض (السجن أو الموت). كان رأس النظام، أنور خوجا (1908 . 1985)، من المتابعين للأدب بحكم دراسته في فرنسا، ومن المعجبين بإسماعيل كاداريه، طالما أن الأخير كان يخدم النظام بأعماله، ومنها روايته الضخمة «الشتاء الكبير» (1977) التي تناول فيها الخلاف الأيديولوجي بين القيادتين الألبانية والسوفييتية، وخلّد فيها شخصية خوجا المقاومة للقيادة السوفييتية، التي باتت تُعرف بـ«الإمبريالية السوفييتية» في القاموس الألباني الخوجوي. ومع هذا الإعجاب، تولّدت علاقةٌ خاصّة بين رأس النظام والكاتب، وفّرت له مساحةً حريّةً إضافية ومساحةَ أمان كانتا تحميانه، من حينٍ إلى آخر، من مضايقات «حرّاس» الواقعية الاشتراكية وحسَد زملائه الكتّاب الذين كانوا محرومين من الامتيازات التي كان يتمتع بها، ومنها حرية السفر إلى الخارج في الوقت الذي كان فيه الكتّاب الآخرون يحتاجون إلى إذن للانتقال من مدينة إلى أخرى في ألبانيا. يحاول كاتب المقال تفسير هذه العلاقة بين أنور خوجا وإسماعيل كاداريه (اللذين ولدا في مدينة صغيرة في جنوب ألبانيا: جيروكاسترا) بكونها تكاملية، تقوم على مبدأ «الألتر إيغو» أو «الأنا الأخرى» أو «البديلة».

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

علاقةٌ تكاملية جمعته بأنور خوجه، رأس النظام السابق

أعادت «الأكاديمية الألبانية للعلوم» ترشيحه لـ«نوبل» 2021

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إطلالة

في لحظات الرحيل

تطرّف اليمين واليسار

لا يمكن فهم هذا التاريخ، إلا إذا أدركنا، أنه من المعتاد وقوف المتطرفين من اليمين واليسار في جانب واحد

فوّاز حداد

سجّل الوسط الثقافي خلال السنوات القليلة الماضية خسارات فادحة أصابت قدراً لا باس به من مثقفين كانت لهم إسهامات مرموقة في الحقل الثقافي. فمثلاً في سورية، حنا مينه في الرواية، الطيب تيزيني في الفلسفة، ومؤخراً حاتم علي في الدراما، وكثيرون غيرهم في البلدان العربية. وتراوحت ردود الفعل في الاعتراف بفضلهم، واحياناً التمجيد إلى حد النفاق والرياء، أو اتهامهم بالخيانة والأنانية وعدم الوفاء، لا تتسع مناسبة الوفاة، لتصفية الحسابات، ولا للتقييم بإنصاف، إذ يغلب على لحظة الموت المبالغة من الأصدقاء والخصوم معاً. ولقد قيل في استهجانها إنها خلّة عربية ونقيصة مشرقية، فقد أتاحت لنا صفحات التواصل الاجتماعي أن نلصق بانفسنا، كل ما يسيء إلينا، كنوع من التشفي، يتفاقم مع ما نشعر به من إحباط.

يحفل التاريخ بهذه المواقف المتناقضة من الراحلين، وإذا استشهدنا بالوسط الثقافي الغربي، فللتاكيد على أنها ظاهرة عامة تشمل الثقافة دونما استثناء في الشرق والغرب، وإذا كانت نقيصة فهي تطاول الجميع. ويمكن اعتبارها من طبيعة المجتمعات الثقافية المشحونة بالخلافات كأي مجتمع آخر.

اعتبر الشعب الفرنسي فيكتور هيغو «أمة في رجل»، ورغم هذا بدأ النزاع حوله وكان ما يزال على فراش النزع الأخير، وشهد سجالاً حاداً بين اليمين واليسار، وأبدت الكنيسة استعدادها لإعادة الصلة معه ومنحه الغفران رغم تهجماته عليها، كان في إعادته إلى الكنيسة مكسب كبير لها. تذرعت العائلة بتنفيذ وصيته التي يقول فيها: «أرفض صلوات الكهنة من جميع الكنائس. وأطلب الصفح والمغفرة والدعاء من كل الناس، وأؤمن بالله».

أدانت صحافة اليمين الأشخاص الملحدين الذين يحيطون بالمريض ويمنعونه من العودة الى الدين في لحظة الموت. بينما أدانت الصحافة اليسارية الملاحقة التي يتعرض لها الشاعر من قبل الأوساط المحافظة. مات أديب فرنسا الكبير بكل وداعة وسلام وهو محاط بأقربائه وعائلته. أبلغ الخبر إلى الصحافة، فهبّت باريس عن بكرة أبيها لوداعه والاحتفال به. لم يبقَ شخص إلا وشعر بهول المصاب، وتدفقت الجموع من الأحياء العمالية الفقيرة إلى الأحياء الراقية.

اعتبرت جنازة فيكتور هيغو مسالة وطنية تخص الدولة. فاجتمعت الوزارة عدّة مرّات للإشراف على التحضيرات وتحديد مسار الموكب بدءاً من بيته وانتهاء بمقبرة العظماء مروراً بالأحياء الراقية. المشكلة هي أن البانيتون. مقبرة العظماء، كانت عندئذ كنيسة! فاصدرت الحكومة قانوناً صادرت به الكنيسة وحوّلتها إلى ملكية للدولة.

عندئذ تزعّمت الحملة «جريدة الصليب» بمقالة هجومية بعنوان: «انتصار الشيطان» وهاجمت الحزب الجمهوري العلماني، واتهمت الحكومة بانها وثنية وانها طردت السيد المسيح من المبنى لكي تُدخل فيكتور هيغو إليه. وعلى هذا النحو استمرت المناوشات بين الحزب الديني الأصولي، والحزب الجمهوري العلماني. وهو صراع اخترق على الدوام تاريخ فرنسا الحديث. في يوم تشييع الجنازة، جذبت شوارع باريس جماهير غفيرة، لم يحظ بها تشييع الملوك او الرؤساء. كان هيغو ملك فرنسا المتوج. أليس هو أمير الشعراء وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة في آن معاً؟ مثل عظمة فرنسا أكثر مما مثّلها رؤساؤها وملوكها، ولا أحد يستطيع أن يُنافسه على عرش المجد.

صبّت صحافة اليمين المتطرف جام غضبها على فيكتور هيغو وعلى عائلته: إذا كان هذا الشاعر شعبياً إلى مثل هذا الحد فذلك لأنه كان يدغدغ الغرائز الدنيئة للناس، إنّ جنازته عبارة

لا تتسع مناسبة الوفاة لتصفية الحسابات ولا للتقييم بإنصاف

عن تظاهرة جهنمية للديماغوجية الديمقراطية. المستغرب أن موقف اليسار المتطرف لم يقل هجومية عن موقف اليمين المتطرف، على من؟ على صاحب رواية «البؤساء»!! فقد أصدر بول لا فارغ صهر كارل ماركس منشوراً عدائياً تحت عنوان «أسطورة فيكتور هيغو». وفيه يدين ديماغوجية هذا الكاتب الذي عرف كيف يستميل عواطف الجمهور لكي يكسب أكبر قدر ممكن من المال، والذي استغل بلاغياً البؤساء والفقراء وإن بدا وكأنه يدافع عنهم، بينما في الواقع كان يدافع عن قيم الرأسمالية. عقب وفاة أديب أو سياسي أو فيلسوف، يجري الخلاف حوله، وكثيراً ما يتجاوز تقييمه، إلى إضفاء العظمة عليه، أو التنكيل فيه إلى حد الشتيمة.

لا يمكن فهم هذا التاريخ، إلا إذا أدركنا، أنه من المعتاد وقوف المتطرفين من اليمين واليسار في جانب واحد.

(روائي من سورية)

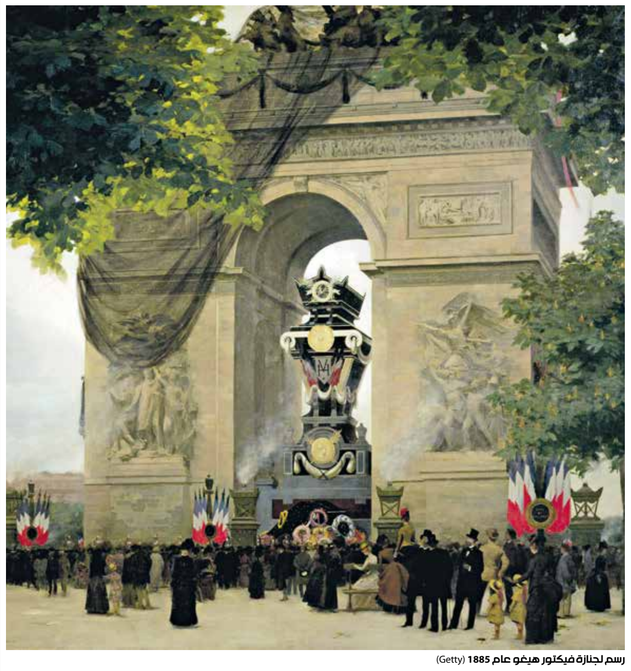

رسم لجنازة فيكتور هيغو عام 1885 (Getty)

معرض

ديفيد هوكني تسميةُ الربيع بأكثر ألوانه وضوحاً

ثمار تفّاح تكدّس الشمس

في معرضه المستمر حتى السابع والعشرين من الشهر الجاري في غاليري «لولون» في باريس، يلاحق الفنان الإنكليزي إيقاع الأرض وهي تقترب من الربيع

باريس ـ محمود الحاج

كان لا بدّ من حجْز موعد لزيارة معرض ديفيد هوكني الجديد، «نورماندياي» (أو «النورماندي الخاصّة بي»). مع اقتراب موعد انتهائه، في السابع والعشرين من الشهر الجاري، يجذب معرض الفنّان الإنكليزي المعروف (1937)، الذي انطلق منتصف تشرين الأول/ أكتوبر الماضي في غاليري «لولون» شمال غرب باريس، أعداداً متزايدة من المهتمّين. طابورٌ صغير الحجم من المنتظرين أمام مدخل الغاليري، ينتظر بعضُ الواقفين فيه دورهم بالدخول، فيما ينتظر آخرون . لم يُتَح لهم أخذ موعد . حظاً ممكناً في حال تخلّف عن موعدهم أشخاصٌ قاموا بحجز حصّة من الوقت لزيارة المعرض.

الطقس الباريسي، في هذا اليوم المثلج من منتصف شباط/ فبراير، يُضاعف الرغبة في رؤية أعمال الفنّان الإنكليزي، التي تصوّر ربيعاً بات أكثر من منتظَر في أيّام شتوية قاسية كهذه.

بدأية عام 2019، انتقل ديفيد هوكني للعيش في قرية بوفرون آون أوج، الواقعة في إقليم النورماندي (شمال غرب فرنسا)، والتي لا يتجاوز عدد سكّانها المئتين. قريةٌ ببيوت خشبيّة وممرّات وإطلالات على مناظر طبيعيّة من حقول تفّاح وأجاص وكرز أو شجر وعشب بسيطيْن. ليس المكان ببعيد عن بلد هوكني، بريطانيا، وليس بعيداً كذلك عن قريةٍ جيفيرني، التي اختار زميله الفرنسي، كلود مونيه (1840 . 1926)، الإقامةَ فيها في نهايات القرن التاسع عشر.

مثل مونيه، وبخلاف كثير من زملائهما الذين فضّلوا الاقتراب من ضوء المتوسّط، جاء هوكني إلى النورماندي بحثاً عن ضوئها الأبيض . الرمادي ومقترحاتها الطبيعية من أراض منبسطة وأشجار مثمرة. ومثل مونيه، يجلس هوكني ساعات ليرسم ما تراه عيناه من محيط بيته. لكنّ، إذا كان الرسّام الفرنسيّ لم يتردّد في تجهيز مناظر طبيعية لتصويرها، معيداً زراعة حديقة على مزاجه، أو مرتّباً الأرض والماء لتشكيل بِركةٍ سيرسم انطلاقاً منها عدداً من أشهر لوحاته، فإنّ هوكني يكتفي بالجلوس وانتظار ما تقدّمه له الطبيعة من تغيّرات، حاملاً بين يديه عدّته المختلفة تماماً عن عدّة مونيه: أيباد مزوّد ببرنامج رسْم صمّمه له خصّيصاً باحثٌ إنكليزي، وكزّاسةُ رسم يابانية.

تبدو لوحات «نورماندياي» (وجميعُها مرسومٌ في السنتين الأخيرتين) وكأنّها تلاحق إيقاع الأرض وهي تقترب من دورتها الربيعية. بين لوحة وأخرى، أي، مثلاً، بين «ضباب الأشجار» (2019، أكريليك على قماش، 91×122 سم)، التي ما تزال تحمل بصمة الشتاء تقريباً، وبين «شجرة تفّاح» (2019، أكريليك على قماش، 91×122 سم)، يمكن لزائر المعرض اقتفاء أثر النسغ المتصاعد أكثر وأكثر في جذع وأغصان الشجرة، وفي الأوراق التي كبرت وكثُف عددُها، وفي ثمار التفّاح الناضجة، وفي أصفرها الليمونيّ المضيء، الذي يكدّس تاريخاً أطول من الشمس الربيعية.

سماءٌ مرسومة بحركات يد تبدو وكأنّها ترسل تحيّة إلى فان غوغ

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

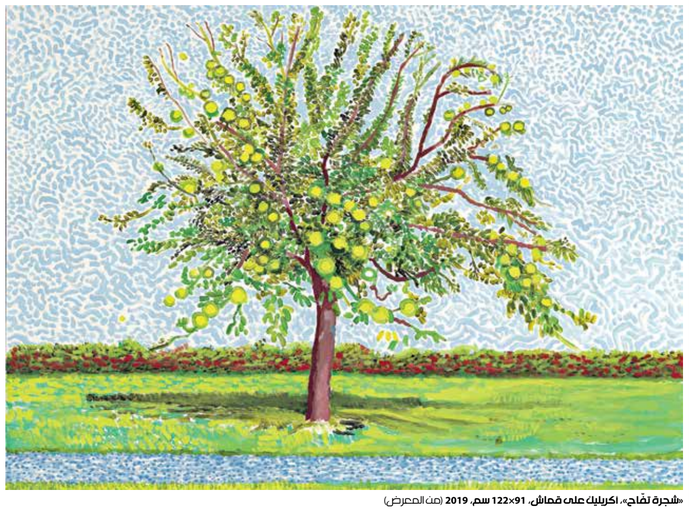

«شجرة تفّاح»، أكريليك على قماش، 91×122 سم، 2019 (من المعرض)

فعاليات

فن التصوير في مصر القديمة عنوان محاضرة افتراضية تقدّمها الباحثة الفرنسية **شارلوت لوجون** مساء اليوم. تجمع المحاضرة بين تخصّصين؛ علم المصريات من خلال إضاءة إبحديات الكتابة الهيروغليفية، وتاريخ الفن حيث إن الكتابات المصرية القديمة كانت تقوم على الصورة باعتبارها عنصر بناء النصوص.

يقيم **معهد غوته** في القاهرة مناقشة عبر صفحاته على مواقع التواصل الاجتماعي مع **رفائيل خوري** و**عايدة العويضي** ضمن برنامج **الإقامة الفنية الرقمية** الذي ينظّمه منذ تشرين الثاني/نوفمبر الماضي. يدير النقاش الفنان **اوغوتو موراياً**. يهدف برنامج «الإقامة الفنية الرقمية» إلى إتاحة فرص الدعم لفنانين صاعدين تقوم مشاريعهم وافكارهم الفنية على عناصر رقمية.

تنظّم **مكتبة عبد الحميد شومان** في عمّان، يوم غد الاربعاء حفل توقيع رواية **ضجيج ابيض** (2020، الآن ناشرون وموزّعون) للكاتبة **ربى حبّ الرمان**، بداية من الساعة الخامسة مساءً، بحضور مؤلّفته والناشر جعفر العقيلي. هذه الرواية هي الثانية في رصيد المؤلفة، وقد حملت روايتها الاولى عنوان «جدل».

يوم السبت المقبل، في السابع والعشرين من شباط / فبراير الجاري، يحتضن **المركب الثقافي سليانة** (شمال غرب تونس) عرضاً لفيلم **الهربة** بحضور مخرجه **غازي الزغباني** الذي سيتناقش مع الحاضرين في نهاية العرض. العمل أُنتج كمسرحية في 2019، وجرى تحويله الى فيلم مع توقّف العروض المسرحية خلال الجائحة.